الرشاقة الاستراتيجية للجامعات المصرية فى مواجهة جائحة كورونا (Covid-19)– ضرورة حتمية

إعـداد
أ.د. أشرف السعيد أحمد محمد
أستاذ بقسم أصول التربية– كلية التربية – جامعة المنصورة

مقدمة

أحدثت جائحة فيروس كورونا أو (Covid-19) تحولات راديكالية فى مجريات الحياة البشرية فى معظم الدول، فلقد غيرت نمط الحياة والعمل، وفرضت التباعد الاجتماعي، وأوقفت حركة التنقل والسفر بين الدول، وأصابت الاقتصادات العالمية بهزة عنيفة أعادت للأذهان شبح "الكساد العظيم" فى ثلاثينيات القرن العشرين، وتزايدت معدلات البطالة حيث فقد الملايين وظائفهم حول العالم، وزادت معدلات الفقر، وانكشفت الاختلالات الهيكلية فى القدرة على التكيف السريع مع تبعات هذه الجائحة فى الكثير من النظم الصحية والاقتصادية حول العالم.

ولم تكن النظم التعليمية بمنأى عن التأثيرات العاصفة لجائحة كورونا، بل توقفت على الفور كافة مناشط التعليم والتعلم، وأغلقت المدارس والجامعات، وأضطرت بعض الدول إلى ترفيع طلابها إلى السنة التالية دون استكمال متطلبات عملية التعليم والتعلم، وحاولت بعض الدول ايجاد صيغ جديدة لاستكمال العام الدراسي، من خلال أنظمة التعليم عن بعد، والتعليم الالكتروني. لقد فرضت جائحة كورونا ضرورة التغيير السريع والمدروس فى أنماط عمل النظم التعليمية، وأظهرت الحاجة إلى المرونة الاستراتيجية فى التعامل مع الظروف الطارئة وغير المتوقعة من خلال بناء أنظمة رشيقة قادرة على التكيف الذى يواجه التحديات بكفاءة ويستثمر الفرص أو يقتنصها باحترافية ويجعل المؤسسات التعليمية دائما على الطريق الصحيح.

إنّ التغييرات المتسارعة فى المشهد العالمي عموما والتحولات الهيكلية التى تصيب الكيانات المؤسسة العاملة فى مجال التعليم والتعلم فى عالم فيروس كورونا وما بعدها يقتضي اعادة بناء النظم المؤسسية بعناصرها الأساسية ورؤاها المستقبلية وفقا لمفهوم الرشاقة الاستراتيجية التى تعزز من قدرة المؤسسات والموارد البشرية العاملة فيها على المرونة فى مواجهة حالة عدم اليقين والغموض المتزايد، والتكيف المستمر للتغيرات الممكنة والمحتملة فى احتياجات المستفيدين وطموحاتهم، وعلى استدامة التنافسية من خلال الاحتفاظ بالفرص القائمة والتوجه الاستراتيجي لاقتناص الفرص المحتملة.

لقد خلقت الطبيعة المتغيرة للاقتصاد العالمي بيئة من التعقيد المفرط والتغير الديناميكي غير المسبوق، لذلك قواعد اللعبة التنافسية تتغير بشكل أسرع من قدرة المديرين والقادة على التفاعل معها، وتبشر هذه الديناميات بموجه مستمرة من التغيرات فى العمل ومصادر القيمة المضافة مما، يفرض ضرورة تبني نهج الرشاقة الاستراتيجية فى التعامل مع هذه الموجة المستمرة من التغيرات(Roth, 1996) وعندما يضاف للطبيعة المتغيرة للاقتصاد العالمي الأزمات الصحية المتكررة فى العقدين الأخيرين، والتى نجمت عن تفشي الأوبئة مثل: سارس، انفلونزا الخنازير...، وانتهاءً بفيروس كورونا وما أحدثه من صدمات عالمية غير مسبوقة لكافة قطاعات النشاط الانساني، تبدوا الحاجة ماسة لتبني النهج الاستراتيجي المعروف بالرشاقة الاستراتيجية بأدواتها وآلياتها بما يعمق من قدرة مؤسسات التعليم من استشعار التحولات والمرونة فى التكيف معها بما يحافظ على فعاليتها التنظيمية والمجتمعية.

ترى مارياكي (2020)Marinaki أنّ جائحة كورونا فرضت على المؤسسات التركيز على الرشاقة فى مواجهة احتياجات العاملين، وتوقعات العملاء، وحالة عدم اليقين السائدة، إنّ رشاقة العمل المؤسسي يعنى قدرة على اكتشاف حلول سريعة وفعالة لمواجهة هذه الأزمة. وأكد ليو، ولي، ولي (2020) Liu; Lee & Lee على أهمية المرونة والرشاقة الاستراتيجية وريادة الأعمال فى سياق مكافحة كورونا، لأنّنا فى حاجة للمرونة وتطوير استراتيجيات التأقلم الفعالة، والجهد الجماعي فى أوقات الأزمات والصدمات غير المسبوقة.

ويشير ستوتزيل (2020) Stoetzel إلى أنّ الوقت قد حان مع وجود فيروس كورونا التاجي، للتفكير فى قدرة المؤسسات على أن تكون رشيقة استراتيجيا، وبرغم أنّ بناء القدرات والهياكل والثقافة

لتكون رشيقا استراتيجيًا ليس بالأمرر الهين فى عالم اليوم، ولكنه أصبح ضرورة وجود للمؤسسات لتكون قادرة على الحفاظ على أو التقاط أكبر قدر من الفرص بقدر الإمكان. وتؤكد دوتي Doty(2020) أنه إذا كانت أحاديث القادة فى الماضي نظرية ومجردة عن الحاجة الكبيرة للرشاقة، وما يتعلق بها من قدرات نتيجة تزايد التقلبات، وعدم اليقين ، والتعقيد ، والغموض، فإنها الآن وفى سياق الفيروس التاجي الجديد وترددات الاقتصادية والاجتماعية والشخصية والسياسية، لابد وأن تترجم إلى اجراءات عمل على أرض الواقع.

إنّ بيئات عمل الجامعات فى القرن الحادي والعشرين عموما ومع تداعيات فيروس كورونا خصوصا تقتضي توظيف الرشاقة الاستراتيجية كصيغة إدارية وتنظيمية يمكنها زيادة قدرة الجامعات على الاستجابة والتكيف بسرعة وفعالية مع التغيرات غير المتوقعة فى بيئة عملها، بما يجعلها دائما ملبية لاحتياجات المستفيدين ومستشعرة لما قد يترتب على المسارات غير المحددة التى يمكن أن تأخذها جائحة كورونا أو غيرها من الجوائح المحتملة فى عصر تزايدت فيه تأثيرات الأوبئة على مجمل النشاط الإنساني.

وعليه تحدد هدف الورقة البحثية الحالية فى الكشف عن الدور الذى يمكن أن يسهم به تبنى الرشاقة الاستراتيجية كآلية إدارية وتنظيمية فى زيادة قدرة الجامعات المصرية على التكيف مع تداعيات فيروس كورونا واقتناص الفرص المحتملة بما يعزز من استجابتها لمطالب المستفيدين المتغيرة، وبما يحفظ لها استدامة التنافسية.

وتحقيقا لهدف الورقة البحثية، تناولت مفهوم الرشاقة الاستراتيجية، وأهميتها، وأبعادها، وامكاناتها فى تعزيز قدرة الجامعات على مواجهة تداعيات فيروس كورونا وما أحدثته من حالة من الغموض والتعقيد وما فرضته من ضرورة التغيير فى استراتيجيات العمل الجامعي على كافة الأصعدة.